المحاضرة الأولى: ماهية الصحافة الاستقصائية

تعد الصحافة الاستقصائية واحدة من أكثر الأنماط الصحفية المثيرة للجدل وأكثرها تكلفة، إذ تتطلب المزيد من الالتزام والوقت والاستثمارات، وتلعب دوراً كبيرا في توجيه الرأي العام وتسليط الضوء على أية انحرافات تحدث في المجتمع، فضلاً عن دورها في تحليل المعلومات وممارسة الدور شبة القضائي في تحديد جهات الاتهام للانحرافات التي يتم تحديدها، ويتجاوز هذا الدور عن الاقتصار على الوصف، أو رد الفعل، على غرار ما يحدث في الأنواع الأخرى من الصحافة، ومن ثم فهي تحظى بالمزيد من الإطراء والتشجيع باعتبار أنها تساهم في تعريز الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في الرقابة على الحكومات، والشركات الكبرى التي تتمتع بنفوذ هائل في تلك المجتمعات. (الحمداني، ٢٠١٩، صفحة ٦٤)

وتقوم الصحافة الاستقصائية على التحري العميق أو البحث الدقيق والاستقصاء المنهجي المنظم المدروس، بشأن حادثة أو قضية أو ظاهرة ما، تنطوي على أهمية بالنسبة للمجتمع، وتتعمق بجريمة الفساد أو الاختلاسات أو انتهاكات أو استغلال نفوذ او سوء استعمال السلطة أو قصور في الأداء أو مواطن خلل وما الى ذلك من المظاهر السلبية والخاطئة والتي تتعلق بأفعال أو أعمال الشخصيات الرسمية أو الموظفين العموميين أو المؤسسات أو الشركات التي ترتبط نشاطاتها بحياة الناس او شريحة واسعة منهم، إي الاستقصاء في الأسباب والدوافع، والاستماع الى كل الآراء الخاصة بالتحقيق الاستقصائي، إذ يصل الصحفي الاستقصائي الى إصدار حكم في النهاية، أو يكتفي بعرض جوانب منها فقط". (نايف و غنتاب، ٢٠٢٥، صفحة ٢٨٠)

وثمة مصطلحات مترادفة كثيرة للصحافة الاستقصائية تُشير إلى مفهوم مَخْصُوص، مثل: صحافة التقصي أو الاستقصاء أو العمق أو التحري أو البحث أو التحقيق، أو صحافة الدقة، أو "صحافة المعلومات المخفية "، وسُمِّي مُحَرِّرُو هذا النموذج الصحفي خلال ظهوره بـ " المنقبين عن الفساد " (Muck Rekers)، وهو ما طبع جميع المراحل التي تَشَكَّلَت فيها خُصُوصِيَّتُه باعتباره جنسًا صحفيا وتبلورت فيها قواعده المهنية. وهنا، نلاحظ أن معجم التعابير الاصطلاحية المذكورة يُركز على أحد أبعاد أو خصائص الصحافة الاستقصائية؛ فيُبرز إما موضوع أو قصة الاستقصاء المعلومات الخفية) أو طبيعة معالجة القصة (العُمق) أو القواعد العلمية والمهنية للاستقصاء البحث والتحري والدقة)، وهي السمات التي نجدها أيضًا متناثرة في التعاريف الاصطلاحية المختلفة؛ إذ ليس هناك حَدٌّ مُطْلَقٌ مُكْتَفِيًا بذاته. (الحمداني، ٢٠١٩، صفحة ٦٩)

وتعرف شبكة اعلاميون من اجل صحافة استقصائية عربية «أريج (IRIJ)، الصحافة الاستقصائية، بأنها تشمل كشف أمور خفية للجمهور أمور إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في

السلطة، أو اختفت مصادفة خلف ركام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية وهي الصحافة القائمة على توثيق المعلومات والحقائق باتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة .

وتعرف الصحافة الاستقصائية حسب منهجية مؤسسة نيريج (NIRIJ) بأنها: "الصحافة التي تعمل على كشف الخلل في النظام، أو الممارسات الخاطئة التي تريد جهة ما أو يريد شخص ما، اخفاءها، من خلال البحث المعمق وتوثيق الحقائق التي يحصل عليها الصحفي بجهده الشخصي بهدف تصحيح الأخطاء وإحداث تغيير لصالح المنفعة العامة، وتقديم المسؤولين عن الانتهاكات والأخطاء الى المساءلة". (نوح، ٢٠١٧، صفحة ٩)

ويتفق معظم الصحفيين الممارسين للصحافة الاستقصائية بأنها: "كتابة التقرير من خلال المبادرة الذاتية وعمل منتج يتعلق بأمور ذات أهمية للقراء أو المشاهدين أو المستمعين، وفي أوقات كثيرة لا يرغب الأشخاص أبطال التحقيق أو المتورطون في القضية في الكشف عن القضايا موضع التحقيق"، وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى عناصر ثلاثة: (هانتر و سينجيرز، الصفحات ١٢-١٣)

١. **العنصر الأول:** الصحافي لا يقدم على نشر أو تسريب تحقيق قام به آخرون، ما يعني أن التحقيق يجب أن يكون بفضل جهد الصحافي نفسه. كذلك، قد يعتقد كثيرون أن مجرد الحصول على ثقة مصادر رفيعة المستوى التي من الممكن ان تبوح بمعلومات حصرية فإن هذا يعد تحقيقاً استقصائياً، ولكن هذا الاعتقاد خاطئ فمثل هذه القصة إذا انتهت فقط بحوار أو حوارات وتصريحات، فإنها لن ترقى إلى مستوى التحقيق.
٢. **العنصر الثاني:** أن يكون موضوع أو موضوعات التحقيق ذات أهمية قصوى للجمهور المتلقي من حيث كونها تتعلق بأمر قد يؤثر في حياتهم، وفي هذا الصدد، فإن هذا الجزء من التعريف يتسم بالمرونة نظرياً وعملياً. وقد يقال إن حياة المشاهير تعني الكثير للمتلقين، وبالتالي فإن المشاهير أهداف مشروعة للاستقصاء. إلا أن تأثير المشاهير في الغالب يكون رمزياً، في حين أن صحافة الاستقصاء معنية أكثر بالموضوعات التي لها تأثير مادي مباشر على العامة والأفراد.
٣. **العنصر الثالث:** في بعض الحالات، يحاول البعض إخفاء الحقيقة، في حين أن الصحافي معني بالكشف عن الأسرار. وكما يقول جوليان أسانج صاحب تسريبات ويكيليكس: "عندما تكون المعلومات سرية، فإن قيمتها المادية والاقتصادية ترتفع بشكل تلقائي.

وتقدم شيلا كورنويل مديرة مركز ستابيلي للصحافة الاستقصائية في جامعة كولومبيا الامريكية (CIS) توصيفا مبتكرا لتوضيح مفهوم الصحافة الاستقصائية فهي ليست:

- صحافة التقارير اليومية.
- صحافة تسريب المعلومات.
- صحافة المصدر الواحد.
- صحافة سوء استعمال المعلومات.
- صحافة المشاهير.

فالصحافة الاستقصائية هي:

- صحافة الكشف عن كيفية خرق الانظمة والقوانين.
- صحافة الكشف عن المسؤولين عن الاخطاء.
- صحافة تحميل المسؤولية للأشخاص الذين يرتكبون الاخطاء ..

ووفقا لتعريف كورنويل، يمكن إدراك ماهية الصحافة الاستقصائية من **خلال التفريق بينها وبين باقي الفنون** الصحفية، فالصحافة الاستقصائية ليست:

١. **صحافة التقارير اليومية:** إذ أن التغطية الإخبارية اليومية هي ما ينقله الصحفي عن الأحداث من خلال مجموعة من الطرق، مثل المقابلات التي يجريها مع المصادر والشهود، أو تجواله بنفسه، وهي قد تشمل الاحداث السياسية الجارية أو حوادث السير أو التظاهرات أو القرارات الحكومية أو عملية القاء القبض على مجرمين أو غيرها من الحوادث التي تجري كل يوم وفي كل مكان من العالم تقريبا. فالتغطية الاخبارية اليومية لا تقدم في العادة أكثر من المعلومة التي قيلت، او الحدث الذي وقع، ولهذا فهي ليست صحافة استقصائية.
٢. **صحافة التسريبات:** يرتبط مفهوم الصحافة الاستقصائية عادة بفكرة تسريب المعلومات ، وهذا مفهوم خاطئ تماما، فالصحافة الاستقصائية قد تستفيد من المعلومات أو الوثائق المسربة مثل ما حصل في عملية تسريب مئات الالاف من الوثائق عبر موقع ويكليكس الشهير، لكن لا يمكن للصحفي المتقصي أن يعمد الى نشر الوثائق المسربة ويمنح الاشخاص أو الجهات التي سربت هذه الوثائق فرصة تحقيق غايتها، بل عليه القيام بالتحقق من موثوقية المعلومات المسربة وكشف كل ما يحيط بها الى الرأي العام. وعادة ما يكون هدف تسريب المعلومات من قبل الجهات الحكومية أو الساسة البارزين أو اصحاب النفوذ، هو الايقاع بالخصوم أو تضليل الرأي العام حول حقيقة الاخطاء المرتكبة. واذا ما قام

الصحفيون بنشر هذه التسريبات من دون التأكد من صحتها فأنهم يحكمون على تقاريرهم بأنها ستكون مشوهة ومضللة للرأي العام، وهو ما يحقق مصالح القائمين على التسريب.

٣. **التقارير المستندة الى مصدر واحد:** يتطلب العمل الإستقصائي التعامل مع مجموعة من المصادر المتنوعة، سواء أكانت بشرية أم ورقية أو رقمية، وعملية التحقق والتثبت من المعلومات تحتاج الى الوصول لكل الجهات التي تمتلك وجهات نظر حول القضية المراد تقصيها، وهو أمر في غاية الأهمية لتقديم الحقائق الموثقة للجمهور، لذلك لا يمكن الاعتماد على مصدر وحيد للمعلومة في العمل الاستقصائي.

٤. **إساءة استعمال المعلومات**: يعمد البعض من الصحفيين في كل ارجاء العالم تقريباً إلى استعمال المعلومات التي يكتشفونها من خلال عملهم لاستغلال الأفراد أو المؤسسات التي تعنيها هذه المعلومات، وهذا النوع من الصحفيين كما يقول مؤسس المركز الروماني للصحافة الإستقصائية (CII) بول رادو يلوثون اسم الصحافة الاستقصائية ويسببون الضرر لها ولسمعتها.. لذلك فان البحث عن المعلومة لاستعمالها من أجل الابتزاز وتحقيق المكاسب. ليس من الصحافة الاستقصائية في شيء.

٥. **صحافة المشاهير:** يتم الخلط أحيانا بين الصحافة الاستقصائية وبين التقارير التي تتعقب المشاهير أو ذوي النفوذ وتتحدث عن حياتهم الخاصة أو أسرارهم العائلية بحثا عن الاثارة وزيادة المبيعات لكن في الحقيقة، هذا الخلط غير صحيح على الاطلاق، ففي الصحافة الاستقصائية تكون المصلحة العامة هي الدافع الأساس، ولا تصلح الحياة الخاصة للمشاهير أو ذوي النفوذ للتقصي والتحقق اذا لم تكن لها علاقة بالخدمة العامة التي يؤديها هؤلاء.